الكنيسة في ظل الدولة الأموية بالأندلس عصري الامارة والخلافة (١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٦- ١٠٣١م)

أ.م.د. خزعل ياسين مصطفى/كلية التربية/ جامعة الحمدانية
م.د. علي قنبر الياس/كلية التربية/ جامعة الحمدانية

ملخص البحث

عاش المسلمون في بلاد الاندلس ما يقارب ثمانية قرون تخللتها فترات من الصراع السياسي والديني واخرى من الاستقرار والتسامح الديني وتجاوز كل طرف على الآخر وبحسب القدرات السياسية والعسكرية واستغل بعض النصوص في التاريخ الاندلسي كتاب بأقلام غير محايدة لغرض تشويه صورة المسلمين والتعايش السلمي الذي كان سائداً خلال تلك القرون فليس من المعقول انها كانت كلها صراعات وقتال وإلا كيف نبرر ظهور الحضارة الاسلامية في الاندلس وبشهادة المستشرقين الذين اختصوا في دراسة حضارة المسلمين في الاندلس ، هذا البحث محاولة للرد على بعض الاقاويل التي تحاول من التقليل شأن المسلمين والطعن بتاريخهم في الاندلس ، ودراسة تلك النصوص والوقوف على الظروف التي ادت الى بعض التجاوزات ولاسيما هدم بعض الكنائس او محاولة الامراء الحد من المجاهرة ببعض المظاهر الدينية التي لا تتوافق مع الفكر الاسلامي ، فكان هناك عرضٌ لأهم المحطات التي عاشها النصارى في ظل الدولة الاموية حيث مارسوا مختلف حقوقهم الدينية بالعهود والمواثيق وتارة من خلال رغبتهم العيش الى جانب المسلمين في مشاركة الوطن والتمتع بالمناصب والامتيازات في الدولة ، فكان منهم من حصل على المناصب العليا والتقرب من السلطة لمغانم الحياة ، على حين كان هناك رجال دين لم يتقبلوا الآخر وظلوا يعملون لأثارة الفتن والطعن بالإسلام جهرا ودعم المتمردين وإثارة الفوضى ضد السلطة المركزية .

Abstract

Muslims lived in Al-Andalus about eight centuries some of which were replete with many political and religious conflicts while others were characterized with stability and religious forgiveness. Some biased writers used some texts in Al-Andalus history in order to deform the picture of Muslims and the peaceful co-existence that prevailed during those centuries. It is not reasonable to consider the events of those centuries as whole conflicts otherwise how would we justify the occurrence of the Islamic civilization in Al-Andalus with the testimony of the Orientalists majored in Muslim civilization in Al-Andalus. This paper refutes the fabrications that try to belittle Muslims and slander their history during the Andalusian era and also to study these texts and examine the conditions that led to some transcendings especially demolishing some churches or the trials of princes to limit exposing some religious rites contradicting with Islamic thought. Thus, there was a panorama of the most important events that christens lived under the Umayyad State where they enjoyed their religious rights with pacts on the one hand, and with their interest in living with Muslims in sharing the country and taking positions and privileges in the state. Thus, some of them occupied high positions in the state while there were clergymen who did not accept others and kept slandering Islam publicly in addition to their support of rebels and creating chaos in the country.

المقدمة :

تعد دور العبادة من الاركان المهمة في بناء المجتمعات وتأتي بعد السلطة السياسية من حيث التأثير على توجهات امة ما ، وفي بعض الاحيان تكون لها المرتبة الاولى في تحديد اتجاهات المجتمع لما لها من دور حيوي في تحريك المجتمع وتحاول السلطات السياسية جاهدة في كل العصور والأزمنة على استحصال تأييد دور العبادة والحيلولة دون اعتماد سياسة الصراعات بين السلطة السياسية والدينية، وتكون السلطة الدينية في مد وجزر مع السلطة السياسية بحكم قوة السلطة السياسية وتعاملها مع دور العبادة ، والأندلس في العصور الاسلامية كانت تتبع مع دور العبادة سياسة احتواء السلطة الدينية وتوجيهها باتجاه سياسة الدولة بعدما انفصلت

عن الدولة العباسية في المشرق وتأسيس الدولة الاموية في الاندلس سنة (١٣٨هـ/٧٥٦م) فلم يكن امام امراء الاندلس سوى اتباع سياسة المهادنة وكسب رجال الدين من مختلف الاديان ليكونوا عنصر ايجاب في الدفاع عن البلاد وتحدي المعوقات السياسية والعسكرية التي كانت تهدد البلاد .

وكان الهدف من عرض بحث تحت هذا العنوان دراسة بعض الافكار التي تبنتها كتاب غربين والباحث للتاريخ الاندلسي يجد بوضوح تلك البصمات التي لم تترك شاردة او واردة الا ونقدها ومنهم من يبحث ما بين السطور من اجل البحث عن بعض الهفوات في التاريخ من دون تمحيص عن مسبباتها الواقعية وتناول البحث دراسة تعامل الاسلام مع الكنائس من خلال الفتوحات الاسلامية والاندلس كان نموذجا اذ تم دراسة العقد الاجتماعي التي تم الاتفاق عليها للتعايش السلمي وحل النزاعات التي ظهرت بعد الفتح الاسلامي للاندلس وكيفية تعامل الدولة الاموية مع الكنائس والتعايش السلمي الذي كان سائدا بين مختلف المجتمع الاندلسي الا ان هناك بعض الوقفات التاريخية التي مرت بها البلاد من التحديات والمخاطر الخارجية والتي لاقت صدا في المجتمع النصراني ، واستغلت من الذين كان في نفسه غايات مختلفة من اجل الحصول على مكاسب او الخروج على السلطة المركزية، وتم عرض طبيعة العلاقة بين الكنيسة وبين الدولة الاموية ومكانتها وعلاقاتها ومراحل تطورها خلال العصر الاموي في الاندلس لغاية سقوط الخلافة الاموية عام (٤٢٢ هـ/١٠٣١م) والغاية من الدراسة والوقف على تلك الشوائب التي حاولت تشويه الحضارة الرائدة واعطاء فرصة للباحثين لتسليط الاضواء على هذه المواضيع والدفاع عن مكتسبات الحضارة الاسلامية في الاندلس وتقديم المبررات الواقعية لبعض النصوص التي استغلت لغايات مبنية على سوء تحليل لتقليل من شأن الاسلامي وحضارته على مر العصور ومحاولة اخفاء وطمس قدرة الاسلام على التعايش السلمي والعدالة الاجتماعية وحرصه على اهل الذمة وحقوقهم الذين عاشوا في ظل الدولة الاسلامية افضل حالا حتى من العصور التي كانت فيها المجتمع الاندلسي تحت سلطة ابناء جلدتهم ولم يكونوا افضل حالا بل وجدوا في الاسلام الخلاص من التمييز الطبقي والاجتماعي في المجتمع الاندلسي .

١- العقد الاجتماعي:

كان للكنيسة في الاندلس دور بارز في تحديد وتنظيم العلاقة بين االنصارى انفسهم من جهة وبين المسلمين من جهة اخرى والخطوة الحقيقية لبناء العلاقات الاجتماعية والتعايش السلمي كان بين النصارى الاسبان والمسلمين ترجع الى اتفاقية الصلح التي تمت بين الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير والملك تدمير ملك مدينة اوريولة اثناء فتح الاندلس، فعندما تم فتح غرناطة توجه عبد العزيز بن موسى الى مدينة تدمير وهي مرسية وانما سميت بتدمير نسبة الى ملكها تدمير بن غندرس وكان اسمها قبل ذلك اوريولة وهي كانت قاعدتها القديمة ، فقاتل العلج تدمير المسلمين قتالاً شديدا الا انه لم يتمكن من الصمود امام قوات عبد العزيز فانهزم مع ثلة من اصحابه الى حصن اوريولة ، وكان تدمير قائدا محنكا بصيرا بامور الحرب وداهية ، فلما رأى قلة اصحابه لجأ الى الحيلة والخداع فأمر النساء فنشرن شعورهن وأمسكن القصب بايديهن ووقفن على سور المدينة مع من بقي من الرجال ، وقصد بنفسه الوالي عبد العزيز ولبس كهيئة الرسول فاستأمن فأُمِنَ ، وانعقد له الصلح

ولأهل بلده وافتتحت تدمير صلحا ، فلما نفذ امره عرفهم بنفسه وأدخلهم المدينة فلما دخل المسلمون الى المدينة لم يروا فيها الا نفرا قليلا من الرجال فندم المسلمون على ما فعلوه من اتفاقية وكان ما انعقد من الصلح لتدمير مع عبد العزيز على اتاوة يؤديها وجزية عن سبع مدائن منها اوريولة ، ولقنت ، والش وغيرها ، وكان ذلك في رجب سنة (٩٤ه/ ٧١٢م)[١] .

وهذا نص كتاب الصلح الذي صالحه عليه عبد العزيز بن موسى بن نصير : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من عبد العزيز بن موسى ابن نصير لتدمير بن غندرس، انه نزل على الصلح وان له عهد الله وذمته وذمة نبيه (ص) الا يقدم له ولا لأحد من اصحابه ولا يؤخذ ولاينزع من ملكه، وانهم لايقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين اولادهم ولا نساءهم ولا يكرهوا على دينهم ولا تحرق كنائسهم ، ولا تشع عن ملكهم ما تعبد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه ، وانه صالح على سبع مدائن اوريولة وبلنتله ولقنت ونولة (مولة) وبلانه ولورقة ووالله(اية) وانه لا يؤدي لنا آبقا ولا يخيف لنا آمنا ولا يكتم خبر عدو ، وانه عليه وعلى اصحابه دينارا كل نسمة واربعة امداد شعير واربعة أقساط قبلا وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت ، وعلى العبد نصف ذلك وكتب في رجب ٩٤ه))[٢] ،واصبحت اتفاقية تدمير القاعدة الشرعية الاساسية في التعامل مع سكان بلاد الاندلس اذ اعتبرت من المكاسب المهمة في وضع الحرب اوزارها ونقطة انطلاق استقرار النصارى في بلاد الاندلس وعودة الكثير منهم الى املاكهم ومدنهم وقراهم للاستقرار وانهاء فترة الحروب امام الجيش الاسلامي الفاتح وكان مفتاحا الى معرفة وتنظيم الحقوق بين المجتمع الاندلسي مع الدولة الجديدة ، وبهذا انتظم بموجبها استقرار العرب وعلاقتهم مع السكان النصارى الاسبان في المنطقة. وفضلا عن اتفاقية تدمير كان هناك أصول شرعية اخرى تم اعتمادها في التعامل مع الوضع الجديد من خلال العمليات العسكرية فكان الحكم الشرعي الذي استدلوه من رأي الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حول مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها من الكنائس في بلاد الشام فلما فتحوا قرطبة كانت هناك كنيسة عظيمة ونظرا لأهمية الكنيسة وموقعها في نفوس اهل البلاد حاول المسلمون استثمار البقعة المقدسة لجعلها مسجداً واشتروا نصف املاك الكنيسة وبنوا عليها المسجد الجامع وبقي الشطر الثاني بأيدي الروم ، فلما فتح المسلمون الاندلس وعمّرت قرطبة ونزلها امراء العرب بجيوشهم بنو مسجدا على اراضي تابعة للكنيسة وحين ضاق بهم ذلك المسجد ، فنال الناس من الضيق مشقة عظيمة ، فلما دخل عبد الرحمن بن معاوية الاندلس (١٣٨-١٧٢ه/ ٧٥٦-٧٨٨م) وسكن قرطبة في اواخر ايامه سنة (١٧٠ه/ ٧٨٦م) ، نظر في امر الجامع وتوسيعه واتقان بنائه فأحضر نصارى قرطبة وسألهم بيع ما بقي بأيديهم من الكنيسة المذكورة واوسع لهم البذل فيه وفاءاً بالعهد الذي صولحوا عليه واباح لهم بناء كنائسهم التي كانت هدمت عليهم في وقت الفتح بخارج قرطبة [٣] وما زال هذا الجامع الشهير قائما الى اليوم بسائر عقوده الاسلامية واروقته ومحاريبه ولكنه حول في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي الى كنيسة قرطبة العظمى (كندرائية) وبالرغم من ان الهياكل قد اقيمت في سائر عقوده الجانبية واقيم في وسطه مصلى كبير على شكل صليب فانه مازال يحمل بالاسبانية اسمه الاسلامي القديم المسجد الجامع Mezg nitd AL jama وقد ازيلت قبابه ومعظم زخارفه الاسلامية[٤] . ولا يستبعد ان النصارى عندما باعوا ارض الكنيسة الى الامير عبد الرحمن الداخل انهم ارادوا من وراء ذلك كسب وده ومن

ثم استثمار الاموال لاستحداث كنائس جديدة واخذ المواثيق لأعمار المتروكة منها او التي تعرضت للهدم اثناء العمليات العسكرية.

كان تسهيل امور المسلمين في بناء المساجد له الأثر في فسح المجال امام النصارى واعطائهم الحرية مقابل توافقهم مع الدولة وبذلك ساهمت الدولة بتسهيل اجراءات الكنائس من حيث السماح لهم بالحضور في الكنيسة والحلف فيها، والفقه الاسلامي جوز ان يحلف المسيحي في كنيسته بدلا من المسجد او مكان مجلس القاضي في حال حدث نزاع بين المسلم والنصراني، وقد اكد ابن الهمام ذلك بقوله: ((في الاقباس قال المأخوذ للحسن : وان سأل المدعي القاضي ان يبعث به الى بيعة أو كنيسة فيحلِفه هناك فلا بأس ان يفعله اذا اتهمه))[٥].

موقف الاسلام من الكنيسة:

كان لإمام المسلمين في الاندلس احكاماً ثلاثة تم تطبيقها استناداً الى ماورد ونقل عن آراء الفقهاء وليكون قانونا يمكن معالجة بعض المسائل التي استحدثت في تلك الفترة منها الاراضي التي تم استحداث مدن جديدة كالكوفة والبصرة وبغداد فهي مدن اسلامية لم يكن يسمح لغير المسلمين بناء دور للعبادة لهم في حالة سكنهم فيها ، والحالة الثانية وهي الاراضي التي فتحت عنوة بالعمليات العسكرية وتم تقديم الشهداء مقابل فتح تلك المدن او البلدان فهي للفاتحين وتضم شريحة المنتصرين المعروفة لدى الامم والشعوب ومع ذلك كان الجانب الانساني حاضرا في تطبيق بعض القوانين مما تلائم طبيعة المعركة وسياسة كل والي من اجل تثبيت الامن والاستقرار في المناطق المفتوحة ، واما ما فتحت صلحاً فكان حسب ما صولحوا عليه ووفق الشروط التي تم الاتفاق عليها المتعاهدين وغالبا ما كانوا يحتفظون بكثير من الاملاك وحرية العقيدة والحفاظ على دور العبادة مع رعاية عدم استحداث دور عبادة جديدة في بداية الامر إلا ان هذه السياسة كانت تتبع تقديرات الامراء والولاة في الحفاظ على الشرائع الاسلامية والسلم الاهلي والتعايش السلمي[٦] .

كما ان الاسلام منع هدم الكنائس والبيع في الاراضي المفتوحة في العراق وبلاد الشام والبلدان الاخرى فكانت الآراء مختلفة لا تتفق على رأي واحد بسبب اختلاف الظروف في كل بلاد وان الصحابة الذين شاركوا في الفتوحات لم يأمروا بهدم الكنائس على مر العصور ، وحتى منعوا هدم الكنائس التي وقعت داخل اسوار المدن عند التوسعة [٧]، بل حافظوا عليها وهذا ما يعلل بقاء الكنائس القديمة في المدن وتعود تاريخها الى عصور موغلة بالقدم[٨] . كما ان الاسلام جَوَّزَ الصلاة في الكنائس باعتبارها دور للعبادة وهناك امثلة كثيرة على تطبيق هذا الرأي ، خلال الفتوحات الاسلامية في المراحل الاولى وهذا دليل على ان الاسلام كان ينظر الى دور العبادة للنصارى بأنها اماكن مقدسة ويجوز التعبد فيها في حالة عدم وجود مساجد في المناطق المفتوحة [٩]. وحرَّم الاسلام قتل الابرياء من الرجال والنساء والأطفال والمرضى المقعدين (المشلول والأعمى والمقطوع اليد) ورجال الدين حتى الذين يترهبون في دور العبادة وفي صومعته ويؤكد الفقه الاسلامي ذلك في فصل من يقتل ومن لا يقتل من الاعداء في المعركة: ((... جوز قتل المقاتلين الذين يشتركون في الحرب برأي أو تدبير أو قتال ولا يجوز قتل غير المقاتلة من امرأة أو صبي أو مجنون أو شيخ هرم أو مريض مقعد أو

مشلول أو اعمى أو مقطوع اليد والرجل من خلاف أو مقطوع اليد اليمنى أو معتوه أو راهب في صومعته أو قوم في دار أو كنيسة ترهبوا ...)) [١٠] .

كان من بنود اتفاقية تدمير السابقة الذكر الاصرار على شراء الكنائس في حالة الرغبة ببناء المساجد ولكن بشرط ان تكون بدون اجبار أو غصب ، ففي سنة (١٧٠ه/٧٨٦م) اعتمد على العهد إذ امر الامير عبد الرحمن بن معاوية ببناء جامع قرطبة وكان موضعه كنيسة فقام بشرائها بمبلغ مائة الف دينار [١١] .

٢- عودة الكنيسة بعد الفتح:

خلال امارة الأمير الحكم الاول (١٨٠ – ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ – ٨٢٢ م) وعبد الرحمن الثاني (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ – ٨٥٢ م) ومحمد الاول (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ / ٨٥٢- ٨٨٦ م) شكلت حركة المستعربين خطورة على الحياة السياسية ولعبوا دورا كبيرا في اثارة الفتن ، وبعد منتصف القرن الثالث الهجري / منتصف التاسع الميلادي عندما بلغ التوتر في صفوف المستعربين اشده ، نجد ان القرن العاشر كان شاهدا على ان نصارى مدينة قرطبة كانوا يرتادون دور العبادة الخاصة بهم لكن لم يكن مسموحا لهم اقامة منشآت دينية جديدة نتيجة مواقفهم العدائية، فقط كان مسموحا بها في الارياف وهذا امر شبيه بما حدث في طليطلة [١٢] .

بعد انتهاء مدة حكم الامارة الاموية في الاندلس(٢٣٨ هـ ٣٠٠ هـ / ٨٥٢ -٩١٢ م) ومطلع القرن الثالث الهجري / منتصف التاسع الميلادي ، وبعد الاستقرار السياسي في البلاد اعطى الامويون بعض الحرية الدينية للنصارى من خلال السماح لنصارى قرطبة بالتردد الى كنائسها لإقامة شعائرهم الدينية بحرية وكذلك السماح لهم بإقامة منشآت دينية جديدة لهم في الارياف حصراً وليس في المدن وهذا ما حصل بالنسبة لمدينة طليطلة ايضا .

يرى الباحث كروث ايرناندیت ان النصارى الذين عاشوا في الدولة الاموية وعاشوا حياة المستعربين كان بإمكانهم الحفاظ على كنائسهم وأديرتهم وممارسة طقوسهم الدينية بكل حرية من دون التدخل في السياسة بل ذهبوا بعد ذلك واستغلوا هذه السياسة ببناء كنائس جديدة واعتبروها كنائس قديمة تم اعمارها وساهموا في بناء كنائس عديدة من خلال ادعائهم بان هذه كنائس قديمة تاريخية [١٣] .

وخلال القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد نجد ان بعض المدن مثل قرطبة وطليطلة كانتا تعيشان واقعا يشير الى ان المستعربين والعرب يعيشان وبتأثيرات حضارية متبادلة ، وكانت دور العبادة متشابهة في كثير من الجوانب ، فهناك المذبح في الكنيسة وكوة المحراب في المسجد يسيران جنب الى جنب ، وفي كثير من الحالات تجد العقد هنا او هناك مصحوبا بالأعمدة ، كما انه قائم ايضا في بعض الكنائس المستعربة في الشمال هناك الابراج وقد تعانقت في فضاء المكان من خلال النداء للصلاة سواءً بالآذان او الاجراس ، وبوصفه دليلا آخر على التعايش أو التسامح ، ونجد ان العقد الحدوي كطراز للبناء كموروث مشترك مرجعه دار العبادة القوطية وهنا يجب ان نضيف وجود دار العبادة بشكلها الدائم المتمثل بالاورقة ذات العمد المستعرضة على حائط صدر المبنى الكنسي (استغناء عمارة الكنائس من ابراج وغيرها من مساجد المسلمين)[١٤]. وهذا يعني انه هناك عبارتان معرفتان وسائدتان في تلك الفترة وهي عبارة المسجد الكنيسة او

الكنيسة المسجد في اطار الرقعة العمرانية بالمدينة ، وكلا الامرين يرجعان الى المصادر العربية والى اسماء الاعلام الجغرافية وكذا الابحاث الآثارية للعصر العربي وما قبله [١٥] .

ان التعايش والتسامح الديني الذي تبناه العرب المسلمون في الاندلس كان يتناقض مع الاصول الفقهية حول مدى جواز بناء وترميم الكنائس وعدمها، فقد سُئل السبكي ((عن ترميم الكنائس او اعادة الكنيسة المضمحلة فأردت ان انظر ما فيها من الادلة وأزيل ما حصل فيها من العلة وسالت الله ان يهديني لما اختلف فيه من الحق، وهذا الترميم يقع السؤال عنه كثيرا ويفتي كثير من الفقهاء بجوازه وتخرج به مراسيم من الملوك والقضاة بلا اذن فيه وذلك خطأ بإجماع المسلمين ، فان بناء الكنيسة حرام بالإجماع وكذا ترميمها وكذلك قال الفقهاء : لو وصى ببناء كنيسة فالوصية باطلة: لأن بناء الكنيسة معصية وكذلك ترميمها ولا فرق بان يكون الموصي مسلما أو كافرا وكذا لو وقف على كنيسة كان الوقف باطلا مسلما كان الواقف او كافرا))[١٦] .

كان من اسباب ودوافع التسامح الديني بقاء الكنيسة الى جانب المسجد وظهور الوحدة في مجال العمران وبالأخص في عمارة المساجد والكنائس ، فيمكن القول بان الاندلس شهدت وحدة أو اتحادا فنياً في عمارة الكنائس فدار العبادة البازليكية ذات الاروقة الثلاثة قد صُممت من الفن القديم الموجود في حصن ببشتر الكائن في جبال رندة (لوحة مالذي) الذي اسسه المتمرد عمر بن حفصون (٢٧٦-٣٠٥هـ/٨٨٩-٩١٧) عندما تمرد على الحكم الاموي واعتنق المسيحية لكن مع سيطرة عبد الرحمن الثالث (٣١٦هـ/٩٢٨م) للحصن واعادته الى حكمه تحولت الكنيسة الى مسجد انتقاما من عمر بن حفصون ، اما باقي الكنائس المنتشرة في ارجاء ضواحي ببشتر فقد كان الهدم مصيرها في عصر الخليفة الناصر بسبب العمليات العسكرية [١٧] ، كما تعرضت كنيسة قرطبة الى حصار ثلاثة اشهر بسبب لجوء النصارى الى الاماكن المحصنة في الكنيسة ولا يستبعد ان تعرضت الكنيسة واسوارها الى الهدم لاقتحام المحاصرين فيها اذ جعلوا منها مركزاً لقتال الجيش الاسلامي[١٨] .

وذات الشيء فعل المتمرد عمر بن حفصون عندما تمرد لجأ الى الكنيسة في حصن ببشتر وتحصن فيها لحصانة الكنائس وامتلاكها لوسائل الدفاع فقد كان الغالب على المتمردين التحصن في الكنائس واستغلال تلك الحصون والأسوار التي تمتع بها من أجل مقاتلة الجيش الاموي فكان لابد من احداث ثغرات او هدم لبعض الاسوار لغرض اقتحام تلك الكنائس للقضاء على المتمردين ويتم محاسبة كل الذين وقفوا معهم وقدموا تسهيلات لهم والتي ساهمت في اطالة مدة تمردهم كما حدث مع تمرد عمر بن حفصون حيث استمر تمرده اكثر من ثلاثين سنة يلحق الأذى والدمار بالمدن والقرى التي يدخلها وينضم تحت لوائه بعض من المتربصين بالدولة سواءً كانوا مسلمين أو نصارى [١٩] .

وبالعودة الى الكنائس المستعربة الكائنة في الشمال يلاحظ تشابه في بناء بعض اجزاء دور العبادة (مساجد وكنائس) فمثلا نلاحظ في الكنائس بروز العقد الحدوي ذو الاعمدة عند المدخل الى المذبح بدءً بكنيسة سانتا كوميادي باندي وهي كنيسة قوطية اعيد بناؤها على ما يبدو خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، والشيء المثير هو ان العقد فيه شبيه بما هو في المحراب الذي انشيء في المسجد الجامع بقرطبة في عصر الحكم الثاني (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م)[٢٠] ، وهذا يعني انه كان هناك بناء للكنائس على الرغم من صدور

اوامر بعدم بناء او ترميم اي كنيسة منذ عصر الامير عبد الرحمن الاول وهذا يدل على ان هناك تسامح ديني من قبل المسلمين فيما يخص الشعائر الدينية للأديان الاخرى

ولعبت التجارة دورا مهماً في تقريب وجهات النظر من حيث حماية التجار، فقد ساهمت الاتفاقيات التجارية بين تجار جنوة وأمراء بني امية دوراً مهماً في توثيق العلاقات السياسية وحماية التجار وحرية التنقل والتجارة مع الموانيء الاندلسية ، وكانت نتيجة تقوية تلك الاواصر دفع بالتجار المسلمين بتوفير كافة وسائل الراحة للتجار من سكن ومأكل وحتى اداء طقوسهم الدينية في الفنادق التي يتواجدون فيها ، حيث سمح لهم ببناء كنائس او دور صغيرة لأداء طقوسهم الدينية لقد كانت الكنائس هامة بالنسبة للتجار الغرباء في المدن الاسلامية وكانت الاجراءات محدودة بحيث لا يسمح لهم بتوسعة تلك الكنائس او ان يرتفع بناؤها على مباني المسلمين او يقرعوا النواقيس ، فقد كانت تلك الاجراءات تحقق نوع من الطموح لأداء المراسم الدينية في دولة اسلامية والسماح لهم بحرية بأداء طقوسهم الدينية ولاسيما يعتبرون هم غرباء عن البلاد[٢١] ، فضلا عن السماح لهم باستحضار مايلزمهم من خمور وغيرها مما يألفه التاجر الاجنبي في بلاده [٢٢] .

٣- الحرية الدينية ودورها في بناء الكنيسة :

كفل الدين الاسلامي للأديان الاخرى التي تعيش في كنفه حرية العبادة وإقامة الشعائر الدينية الخاصة بهم معتمدين في ذلك على ما ورد في القرآن الكريم : ((بسم الله الرحمن الرحيم لا إكراه في الدين))[٢٣] ، ان الوثائق المعاصرة كلها تثبت ان العرب لم يفرضوا دينهم على اهل البلاد المفتوحة وانما فرضوا سيطرتهم السياسية لاغير فسيطرة العرب السياسية وسيادتها هي التي انتشرت وبسط نفوذها اما الدين الاسلامي نفسه فقد وجد سبيله الى قلوب نسبة كبيرة من اهالي البلاد المفتوحة بدليل ما اجمعت عليه الوثائق من تسامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود على السواء وهو تسامح لم يحظوا به في ظل حكامهم السابقين [٢٤].

ان المدن الاسلامية لم يتم فتح اغلبها بالسيف فقد كان هناك مدن استسلمت واخرى اسلمت وآمنت بمباديء الدين الاسلامي وعاشت في كنفه امنة مستقرة ومن الامثلة الدالة على ذلك كنيسة سان بثينتي بقرطبة ، التي تتحدث بجلاء عن تعايش ديني في اطار مبنى واحد مع وجود حائط يفصل بينهما كما حدث في طليطلة ، وهنا نجد ان كنيسة سانتا ماريا القوطية التي يسبق تاريخ انشائها عصر الامير محمد الاول (٢٣٨-٢٧٣ه/٨٥٢-٨٨٦م) ، جرى الاستيلاء على ما بقي فيها وذلك لتوسعة المسجد المقام هناك ، وعندما نتناول قرطبة وطليطلة بالحديث يجدر ان نتحدث عن ابراج الكنائس أو ما يشبهها وهي ابراج مجاورة للمآذن الجديدة تصدر نداءات متشابهة وظل الامر كذلك حتى سنوات طويلة من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي [٢٥] . فعلى رجال الدين الموعظة الحسنة بالتي هي احسن ، وعلى المؤسسة الكنسية ان تضم كل مؤسساتها التي كانت تشكل كتائباً عسكرية في اسبانيا كالقرير والفرنسيسكان والفلبين وسواهم لتحولها الى كتائب خدمات انسانية[٢٦].

ان التسامح الديني وحرية الممارسات الدينية بالأندلس كانت في بعض الاحيان تستغل لأثارة الفتن والاضطرابات من المتشددين من النصارى الذين لم يتمكنوا من تقبل الاخر(المسلمين) فقد استغلوا بعض الحالات الفردية التي تظهر هنا وهناك ولعل الرواية التي تتحدث عن الفتيات القاصرات اللاتي كن يتعرضن

الى بعض المضايقات من خلال عدم السماح لهن باعتناق النصرانية فمثلا رواية غلوريدا ولحقت بها فتاة اخرى تدعى ماريا ، وبعد وفاة والدها المسلم استغلت الام النصرانية الفرصة لتوجيه الاولاد الى اعتناق النصرانية واللجوء الى الكنيسة والاحتماء برجال الدين بها الا ان السلطات القضائية لم تقتحم الكنيسة او تدعوا لإخراجها بالقوة وعرضها على محكمة لإقناعها بالرجوع عن توجهها مما دفع بالدولة حماية ابنائها من تلك التجاوزات وثم ان الحكم الشرعي للمرتدين كانت قاسية إلا انهم نالوا محاكمة عادلة امام القضاة وحكم عليهم بحسب ما تقتضي الشريعة الاسلامية بعد ان نالوا محاكمة عادلة وفرصة للتراجع عن محاولتهن بالتنصر [٢٧] .

وحال المسلمين الاسرى من خلال المعارك المستمرة بين الدولة الاموية والممالك الاسبانية الشمالية لم تكن افضل حالاً من قبل النصارى بل كان يحكم عليهم بالرق ويكلفون بأشق الاعمال ويستخدمون بأعمال استصلاح الاراضي وبناء المدن والحصون وباشراف الرهبان[٢٨]، ولم يمنحوا الحرية في ممارسة طقوسهم الدينية الاسلامية بل عرض عليهم التنصير ومن ثم السماح لهم ببعض الحريات[٢٩] .

كان الرهبان ورجال الكنيسة يتمتعون بمكانة خاصة في ظل حكم الدولة الاموية ولم تتعرض لهم الدولة ولا لامتيازاتهم بل على العكس فقد حافظت عليهم وأعطتهم مايستحقون من امتيازات واستحقاقات طبقا لمراتبهم الدينية حالهم في ذلك حال النبلاء ورجال البلاط ، اذ قاموا بأخذ الهبات من الملوك وان كان الملوك احيانا يهبون بدافع الورع والحماسة الدينية ، كما كانوا يأخذون الاتاوات من الافراد والحصول على الاملاك والاراضي الزراعية الواسعة وهذا ما ساهم في تعزيز مكانتهم وكانوا يحكمون تلك المناطق بحرية مطلقة ، فضلا عن حصول الكنائس على الكوادر الخدمية لخدمة الكنيسة وزائريها كان هناك الكوادر الامنية لحماية الكنيسة من الاعتداءات والمخاطر التي قد تتعرض لها [٣٠].

٤- اهم الكنائس في الاندلس :

كانت الاندلس من البلدان الغنية لامتلاكها عدداً كبيراً من الكنائس العريقة وعلى مستوى عالٍ من طرز البناء ومظاهر الزينة التي كانت جزء من اهتمام رجال الدين بإظهار الكنائس بصورة بهية وملفتة لأنظار الداخلين اليها وغالبا ما حافظت عليها بعد الاستقرار السياسي وانتهاء العمليات العسكرية ابان الفتح الاسلامي للبلاد سنة(٩٢ه/٧١٠م) ، لقد كان للنصارى واليهود جهود عمرانية من حيث عمران القديمة واستحداث اخرى من دور العبادة ، والحث على بناء اكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها وإضفاء الجمالية عليها تعد احد المؤثرات الفكرية في مجالات التبشير في العالم الاسلامي ، وذلك حتى تؤثر في عقول الزائرين وتحاكي عواطفهم وخيالاتهم فان ذلك يقرب غير النصارى الى النصرانية وادخال الرهبانية في نفوسهم من خلال هذه المظاهر الجمالية[٣١]. وقد اشار ياقوت الحموي[٣٢] الى وجود كنيسة عظيمة في مدينة شنت مرية من اعمال شنتبرية وذكر ان فيها سواري فضة ولم يرى الراؤون مثلها من مظاهر الزينة والعمران.

كنيسة شنت ياقوب:

تسمى عندهم بالكنيسة المعظمة [٣٣]، ويسميها البكري[٣٤] بكنيسة الذهب ، ويضيف ابن الخطيب[٣٥] بانها احدى المزارات التي تجمعهم ومحل حجهم وتعد من الاماكن المقدسة لدى الروم لمكانة القديس يعقوب عند

السيد المسيح (ع) ، وتعرف بكتدرائية سانتياغو دي كومبوستيلا catedral de Santiago de composteha [٣٦] ويقال بان الفونسو الثاني هو الذي ابتنى هذه الكنيسة [٣٧] ، وهي رمز الزعامة الروحية ويروى ان اهل المدينة تحفظ اسطورة مفادها ان قبر القديس ياقب او(يعقوب الحواري) كانت اساسا لإنشائها وكيف زعمت الاسطورة ان قبر القديس يعقوب قد اكتشف بمعجزة وقعت في هذه المنطقة فأقيمت فوقه كنيسة وانشئت حول الكنيسة مدينة مقدسة سميت باسم القديس وغدت عاصمة اسبانيا الدينية ومزارا شهيرا يقصده النصارى من سائر الانحاء[٣٨]، ويعتقد النصارى انه من حواري السيد المسيح وترك القدس وساح في البلاد حتى انتهى به المطاف الى هذه البلاد ومات فيها واقام له السكان مقبرة فوق الكنيسة ، ويذكر ان ابن ابي عامر هدم المدينة كلها الا قبر هذا القديس بعد ان تمردوا وخرجوا على السلطة المركزية [٣٩] .

وحسب رواية الحميري بان هذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري ، يذكرون انه قتل في بيت المقدس وادخله تلامذته في مركب فجرى به المركب في البحر الشامي(المتوسط) الى ان خرج به الى البحر المحيط حتى انتهى به الى موضع الكنيسة على الساحل فبنيت الكنيسة عليه وسميت باسمه فيقصدها من الافرنجة ومن روما والقسطنطينية في يوم معروف جعل عيدا لها [٤٠] . يقصدها النصارى للحج يأتونها من جميع الاقطار يحجون اليها وليس بعد كنيسة بيت المقدس كنيسة اعظم منها وهي تضاهي الكنائس الكبيرة الاخرى في حسن البناء وسعة الفناء وكثرة الاموال والصدقات وفيها من صلبان الذهب والفضة المرصعة بأنواع احجار الياقوت الملونة والزبرجد وسائر ذلك ما يزيد عدده على ثلاث مائة صليب مصوغ بين كبير وصغير وفيها من الاقونات المصوغة من الذهب والفضة نحو مائتي إقونة ويخدمها مائة قسيس غير ما لهم من الاتباع والخدام وهذه الكنيسة مبنية بالحجر ، وحولها مساكن القسيسيين والرهبان والدياقيين والشماسة والداوديين وبها اسواق وبيع وشراء ويحيط بها قرى كبيرة قريبة وبعيدة كالمدن فيها البيع والشراء وفيها من الخلق اعداد لاتحصى[٤١] .

كنيسة قرطبة :

وهي احدى الكنائس القديمة التي تم بناؤها في عهد الرومان وكانت تسمى هيل ليانوس (jauns) وهي من الكنائس الكبيرة والواسعة ولها اراضي شاسعة مما كان سببا في تقدم الامير عبد الرحمن الداخل يطلب من القساوسة بيع جزء من الكنيسة ليبني عليها مسجد قرطبة الكبير لقداسة الارض وفعلا تم انشاء المسجد الجامع على الجزء الذي تم شراؤه من الكنيسة ولم تهدم الكنيسة ودفع مائة الف دينار مقابل ذلك [٤٢] .

كنيسة الغراب :

من الكنائس القديمة التي يعود تاريخها الى عصر الروم في الاندلس وتقع على الجهة الغربية من البلاد وعلى بحر المحيط الاطلسي او ما يسمى البحر المظلم، وتعد من الكنائس المقدسة لدى النصارى ولها مصادر مالية عن طريق الصدقات التي تقدمها عامة النصارى لكرامات معروفة لديهم من هذه الكنيسة ، ويحمل اليها من جميع بقاع الاندلس الاموال والهبات وهي غنية بالأموال ورجال الدين وهي عامرة وتستقبل الضيوف من كل بقاع البلاد وتقدم للزائرين مختلف الخدمات من سكن وإطعام، واعتاد اهل الاندلس زيارة تلك الكنيسة وتعد

موروثة لديهم يرثها الخلف عن السلف بالرعاية وإهداء الصدقات والهبات لمكانتها في نفوسهم على مر العصور ومع تلك الامكانيات المادية الا انها كانت محافظة على طرازها دون تغير تحصل عليها من توسعة او بنيان[٤٣].

كنيسة لورقة :

لورقة من مدن الاندلس ذات خيرات زراعية واسعة ولها كنيسة معروفة منذ عهد الرومان وتعود شهرة هذه الكنيسة الى انها فيها جرادة من ذهب وان المدينة كانت محمية من الجراد في مواسم الحصاد فتعرضت تلك الجرادة الى السرقة مما ادى الى تعرض المدينة الى غزو الجراد اضافة الى ان الكنيسة فيها زيتونة مقدسة وحسب ماتروي الروايات عن الحميري والقزويني انها تضيء يوم الميلاد وهي تعود الى شجرة الزيتون داخل الكنيسة وكان الروم يرسلون الرسل الى امراء الامويين والهدايا لغرض رعاية تلك الكنيسة وأهلها والحفاظ على تلك الزيتونة المقدسة لديهم والسماح لهم بأداء مراسيم زياراتهم في ليلة الميلاد وأنها تدل ان هناك شهيد مدفون في تلك الارض المقدسة وعلى الامراء احترام تلك المناسبة اكراما للشهيد الذي دفن في تلك البقعة المقدسة ولذلك كانت المدينة تكتظ بالنصارى لأداء تلك المناسبة تحت حماية ورعاية الدولة الاموية من دون حوادث تذكر من خلال التواصل بين الامراء والملوك والحفاظ على المراسيم الدينية في الكنائس المعروفة بقدسيتها وإتمام مراسيمها الدينية الموسمية[٤٤] .

كنيسة ابرونية:

دروقة مدينة بالأندلس من عمل قلعة ايوب عظيمة على سفح جبل وعلى مقربة منها كنيسة ابرونية لها ثلاثمائة وستون بابا وهي تعد من عجائب البنيان [٤٥]. ومن الكنائس الاخرى كنيسة المعروفة بالمردقة واسمه فوبور منقوش على بابها وهي بين حاضرة البيرة ووادي آش وحسب رواية البكري[٤٦] ، ان من بنى هذه الكنيسة والكنائس الجليلة والمعالم الرفيعة هو الملك لوبيان وهو الذي بنى مدينة رقويل وهي على مقربة من طليطلة ، اما الحميري[٤٧] فيذكر بان من بنى هذه الكنائس هو ملك القوط ركارد بن لوبلد[٤٨] .

٥- مكانة الكنيسة في الدولة :

اتسم حكم الامير عبد الرحمن الثاني (٢١٦-٢٣٨ه/٨٢٢-٨٥٢م) بنوع من الحرية والتسامح مع المستعربين وادى هذا الى إعطاء الفرصة لإعادة بناء وترميم الكنائس وكان هذا مدعاة خير ورضا من المستعربين ولكن في الوقت نفسه كان مدعاة غضب ورفض لبعض القساوسة المتشددين الذين لم يتقبلوا بهذا الوضع وبقوا في كنائسهم رافضين لاي صلح وتواصل مع الامويين حتى وان كان ذلك يصب في مصلحة ابناء جلدتهم [٤٩].واستمر هذا الحال حتى بعد استيلاء عبد الرحمن الثالث على طليطلة عام (٣٢٠ه/٩٣٢م) وهذا ما شجع الاهالي الى الاهتمام بدور العبادة من مساجد وكنائس والتردد عليها بشكل كبير[٥٠].

وكانت هناك محاولات جادة من الامراء في كسب ود المجتمع الاندلسي النصراني من خلال اعادة بعض الاراضي التي كانت اساساً كنيسة فسمح الامير عبد الرحمن الاوسط سنة (٢٤٠ه/٨٥٥م) باعادتها الى كنيسة وبقيت الى عصر الموحدين في عصر ابي يعقوب يوسف (٥٥٨ - ٥٨٠ه/١١٦٢- ١١٨٤م) الذي اعادها الى

مسجد وبعد فترة من الاستقرار تم اعادتها الى دار للعبادة واقامة الشعائر النصرانية رغبة منهم في استقرار الاوضاع والسماح للجزء المهم من المجتمع الاندلسي الى الهدوء والأمن والسلم الاهلي[٥١].

ومن خلال تلك الاجراءات نستشف ان كسب المجتمع الاندلسي كان ضروريا لاستتباب الامن والاستقرار ومن اجل العيش بسلام وزرع المحبة بين المجتمع عامة .

وقيل ان بجانة كانت تضم جماعة من البحارة النصارى وأنهم اقاموا لهم كنيسة [٥٢] ، وهذا يعني ان جميع الموانئ الاندلسية كانت تبني فيها الكنائس لغرض تشجيع التواصل بين المجتمع الاندلسي وإعطاء الحرية لرجال البحر ان يمارسوا اعمالهم في الموانئ القريبة والسماح لهم بأداء شعائرهم الدينية رغبة منهم باستقرار الوضع السياسي ومن ثم تنعكس على الوضع التجاري وزيادة التبادل التجاري وان الامراء كانوا يدركون اهمية الاستقرار السياسي والاجتماعي لغرض تشجيع التجارة الخارجية التي كانت تدر على الاندلس مبالغ طائلة وتشغل ايدي عاملة كثيرة في الموانئ الاندلسية .

٦- الازمات السياسية وتأثيرها على الكنيسة :

ساهمت الازمات السياسية وتعرض البلاد للفتن والثورات الى زعزعة الاستقرار والأمن ودفع بكثير ممن لم يعتد على الواقع الجديد ولغايات تهدف الى استقرار البلاد وإعلان التمرد ضد الدولة والمطالبة ببعض الشروط التي تسهم في تحقيق بعض المكاسب في بناء كنائس جديدة والحصول على امتيازات اضافية للنصارى وفي حالة رفضها تستغل من قبل تلك الجماعات لغرض زيادة تمرد المجتمع وتشويه صورة الدولة وإبراز عدم تعاونها مع المجتمع النصراني [٥٣].

لقد كان للاستقرار السياسي في الاندلس ولا سيما في عصر الخلافة انعكاسات كبيرة على طبيعة العلاقة بين النصارى والدولة اذ ساهمت في تطويرها ليس سياسيا فحسب بل الجانب الحضاري كان حاضرا من حيث استحداث كنائس جديدة على طراز البناء المستخدم في بناء الكنائس الجديدة او عند اعادة اعمار الكنائس القديمة او المتروكة في فترات الفتن والصراعات الداخلية وبعد القضاء على الحركات السياسية التي اضرت بالكثير من الكنائس اذ تعرضت الى هدم من جراء العمليات العسكرية ، إذ اعتمد على الكثير من الطرز والزخارف الاسلامية في الاضافات الجديدة ولعل ابرزها من القباب والأقواس الاسلامية التي لم تكن تخلو كنيسة من تلك الفنون المعمارية [٥٤]. كما كان للتطور الحضاري والتعامل الانساني الذي ابداه العرب المسلمون تجاه النصارى اثر في توجه اعداد كبيرة منهم نحو الاستعراب في جميع مظاهر حياتهم وهذا مما أغاض رجال الكنيسة واثار لديهم دوافع الحقد والحسد ضد العرب المسلمين وظهرت حركات التعصب الديني وحاولوا محاربة هذه الظاهرة بكل الوسائل وايقافها وايقنوا ان ذلك لن يتم الا من خلال استفزاز الرأي العام الاسلامي عن طريق مهاجمة الاسلام ومبادئه وسب الرسول محمد(ص) مع علمهم المسبق بان عقوبة ذلك قاسية [٥٥].

يشير احد الكتاب المعاصرين ان الوثائق المعاصرة كلها تثبت ان العرب لم يفرضوا دينهم على اهل البلاد المفتوحة وانما فرضوا سيطرتهم السياسية لاغير فسيطرت العرب السياسية هي التي انتشرت بقوة السلاح ، اما الديانة الاسلامية نفسها فقد وجدت سبيلها الى قلوب نسبة كبيرة من اهالي البلاد المفتوحة بدليل ما اجمعت

الوثائق من تسامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود سواء ، وهو تسامح لم يحظوا به في ظل حكامهم السابقين[٥٦] .

كانت التمردات والحروب العامل الاساسي في خراب المدن وهدم دور العبادة فيها وعلى مر العصور ، وكانت دور العبادة ملجأ وحصناً لأغلب المتمردين فعندما تمرد عمر بن حفصون سنة (٢٦٥ه/ ٨٧٨ م) وتحصن في حصن ببشتر سنة (٢٧٢ه/ ٨٨٥م) ولما وصل الجيش الاموي الى الكنيسة التي كانت بقرب الحصن للقضاء على تمرده خرج عمر بن حفصون للدفاع عن الكنيسة الا انه فشل في ذلك وانهزم امام مطرف قائد الامير عبد الله بن محمد فهدم الكنيسة لكي لايعود اليها مرة اخرى واستمر تمرد ابن حفصون ولم ينتهي امره الا على يد عبد الرحمن الناصر سنة (٣٠٥ه/٩١٧م) [٥٧] .

ثم استمر الناصر بملاحقة اعدائه الى ان وصل مدينة بنبلونة فوجدها خالية مهجورة من سكانها فدخلها ، وتجول فيها وأمر بهدم كنيستها ، اما عن سبب هدم الكنيسة لكي لايعود اليها اهلها من جديد ويتحصنوا فيها هذا من جهة ومن جهة اخرى اضعاف او انهاء الدور الذي تقوم يها الكنيسة من بث روح الحماس لدى النصارى وحثهم على التمرد وقتال الجيش الاموي ، ثم انتقل منها الى صخرة قيس وكانت بها كنيسة قد شيدها العلج وأتقن بناؤها وجعلها محصنة اذ تم بناؤها على صخرة مرتفعة وحصنها بالأسوار ، فلما حلت بها الجيوش اخذت في هدمها[٥٨] . ومنذ ذلك الوقت بدأت البابوية وكنائسها ومفكروها يعادون المسلمين ويهاجمونهم [٥٩] .

وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أفتى علماء الاندلس بالسماح للنصارى ببناء الكنائس في العدوة وفي الامصار التي مصروها مع ان الموجود في كتب السلف هو المنع [٦٠] .

وتقول الرواية الاسلامية ان اهل وشقة المحاصرين من جيش بيدرو ملك اراجون لما عاينوا هزيمة المسلمين الذين جاؤا لنصرتهم امام جيش بيدرو يئسوا من النصرة والإنقاذ ولم تمض على ذلك ثلاثة ايام حتى حصلوا على الامان وسلموا وشقة للنصارى بعد حصار دام ثلاثين شهرا ودخلها بيدرو في موكبه الظافر وفي الحال صير مسجدها الجامع الى كنيسة وجعلها عاصمة لمملكة اراجون[٦١] . ولذلك نستنجد من النصوص المار ذكرها ان الكنائس في الاندلس دفعت ثمنا غالياً جراء الصراعات السياسية والفتن التي كانت تتعرض لها البلاد وكانت الاوضاع السياسية المتردية فرصة لتمرد بعض النصارى ومحاولة لكسب الناس الى جانبهم من اجل تكوين امارات خاصة بهم او الاستقلال عن الدولة الأموية فكانوا يستغلون الكنائس واجهةً اعلامية وتحريك الشعور الديني في نفوسهم ، وساهم الكنائس بإمكانياتها المالية بدعم تلك التمردات ودخلوا مع الدولة في حروب وصراعات سياسية وغالبا كانت تهدم تلك الكنائس التي تساهم في اثارة الناس ضد السلطة المركزية .

٧- دور الكنيسة في الصراعات :

جعل رجال الكنيسة الدين الاسلامي في نفس مرتبة الوثنية الرومانية باعتبار ان العرب كانوا يعبدون الاصنام قبل وفي ظل الاسلام وان ذلك من عمل الشيطان وبحسب هذا الرأي فان الدين الاسلامي دين عبادة الشيطان في نظرهم وهم بهذا يحاولون تشويه صورة الاسلام لدى النصارى لبث الكراهية والحقد في نفوسهم ضد الاسلام والمسلمين في الاندلس ، غير ان معرفة دوافع هذا الكره للإسلام يرجع الى اساءة سلوك بعض

الامراء والحكام العرب المسلمين تجاه النصارى وبالتحديد مع رجال الكنيسة وليس الى الاسلام اي ان العيب في كيفية التعامل وليس في الدين الاسلامي ، فانهماك الامراء بالملذات وترك شؤون الدولة وما لحق برجال الدين النصارى من سوء المعاملة ادى الى زرع روح الكراهية في نفوسهم وبالتالي دفع البعض منهم الى التطرف والتعصب لقومهم ضد الاخر المسلم [٦٢] .

ولعل ذلك هو ما أثار المتعصبين في المدن الاسبانية عموما وخصوصا في قرطبة وحاولوا اعلان تمردهم بكل الوسائل وتحدوا العرب المسلمين علنا الى درجة انهم كانوا على استعداد للمواجهة والاشتباك والموت من اجل ذلك ، واستغل القسس والمتعصبون ذلك التحدي والكره وعمدوا الى تحقيق غاياتهم بوسيلة خطيرة وهي سب الاسلام واثارة مشاعر المسلمين لزرع الفتنة والحرب ، وقاد زعماء الثورة من القساوسة المتعصبين وساروا في شوارع قرطبة وأخذوا في سب نبي الاسلام علناً واذا ما قبض عليه حاول القاضي انتزاع اعتذار منهم على خطأهم حتى يخمد الفتنة ولكنهم كانوا يصرون على ذلك بل اخذوا يسبون النبي امام القاضي لذلك كان جزاؤهم الموت وادى اعدام البعض منهم الى زيادة اشتعال الفتنة .لذلك اعتزم الأمير عبد الرحمن الاوسط على معالجة هذا الخطر الداهم بالحوار البناء والتفاهم وأعانه في جهوده هذه بعض العقلاء من رجال الكنيسة الذين خافوا أن تتقلب هذه الحركة الى اضطهاد حقيقي ، فعقدوا مؤتمرا في قرطبة برئاسة مطران اشبيلية وحضر المجلس ممثل عن لأمير ، واستنكر المجلس سلوك اولئك المتطرفين[٦٣] وأصدروا قرارا يحرم المجاهرة بسب الرسول (ص) او القرآن الكريم فهدأت الاحوال حتى انتهت هذه الحركة بعد ذلك بالتدريج ، خصوصا بعد ان توفي احد زعماء الحركة المحرضين من الرهبان[٦٤] .

كان لاهتمام رجال الكنيسة بالأمور الدنيوية من تولي المناصب وجمع الاموال وترك امور الكنيسة الاساسية محط نقد وتمرد من عامة النصارى وهذا ادى الى ظهور حركات وفرق تعمل على محاربة رجال الكنيسة وإعادة السلطة الدينية وعلى رأسها البابوية الى وظيفتها الاساسية وهو الاهتمام بالنواحي الروحية والتعليم الديني[٦٥] ومن هذه الفرق(الكلونية) [٦٦] .

كانت الكنيسة في بعض الاوقات ملجا للهاربين ، فعندما انتصر سانشو على الليونيين ودب الضعف والاضطراب والذعر في جيش الليونيون وقتل كثير منهم ، فر الفونسو والتجأ الى كنيسة بلدة كربون فقبض عليه وزج الى حصن برغش ودخل سانشو بجيشه ظافرا الى مدينة ليون سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م)[٦٧].

ولما اراد الفونسو السادس السيطرة على مدينة سرقسطة لم يتمكن من دخولها ففرض عليها الحصار واستمر في حصارها سبعة اشهر ويئس من دخولها ، والظاهر انه لم يتوقع صمود المدينة كل هذه المدة ولم يحسب ويهيأ لجيشه ما يكفيه من مؤن لهذه المدة ، ذلك انه في الوقت الذي كان فيه اهل سرقسطة يعانون ويلات الحصار داخل الاسوار كان بالمقابل المعسكر النصراني ومنذ مقدم فصل الخريف يعاني ايضا من نقص المؤن ويهدده الجوع بشبحه المروع حتى لقد فكر قادة الجيش النصراني في رفع الحصار والانسحاب لولا ان شجعهم اسقف وشقة وزملاءه ووضعوا تحت تصرفهم ذخائر عدد من الكنائس يجلبون بثمنها الاقوات[٦٨]. هذا يعني ان

الكنيسة تدعم رعاياها في جميع الظروف الى درجة انهم يبيعون ذخائر الكنيسة ويضعونها تحت تصرفهم لنصرتهم .

لقد كانت الفتاوى المتشددة من رجال الكنيسة والبابوية الاثر الكبير في تهديد التعايش السلمي في الاندلس وفي احياء الجانب الثوري لدى المسيحية لشن الحروب بين سكانها من العرب المسلمين والنصارى الاسبان الذين عاشوا لعدة قرون في بلد واحد تربطهم ببعض رابطة التعايش السلمي وتبادل المصالح المشتركة ، فضلا عن التحريض لجا رجال الكنيسة الى دعم فتاواهم لإطفاء الشرعية عليها من خلال الاتصال بمراجعهم العليا وعلى رأسهم بابا روما يوحنا الثامن وسؤاله عن مصير الجنود الذين يموتون اثناء حروبهم ضد المسلمين ما هو موقفهم الديني هل سينالون الغفران ام لا ؟ فكان جواب البابا من المؤكد انهم سينالون الغفران لاعتقادهم بأنهم يحاربون ضد الظلم والاحتلال بل اكثر من ذلك فقد افتى البابا الاسكندر الثاني في سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) بحث النصارى على قتال المسلمين ومنح المحاربين النصارى الذين يقاتلون مسلمي الاندلس غفراناً وإعفاء من التوبة وعند قتلهم المسلمين بمثابة تكفير عن خطاياهم ، ولم يكتف بتلك الفتاوى المتشددة فقد بالغ بتعصبه الاعمى هذا الى درجة انه ارسل خطاباً الى اسقف مدينة ناربون الاسبانية يستثنى فيه ذبح المسلمين من التحريم الكنسي العام للقتل كما وضح بخطاباته مساندته للنصارى في حروبهم ضد المسلمين وأرسل خطاباً الى رجال الكنيسة في مدينة فولتيرنو الاسبانية كشف فيه عن المكاسب الروحية التي يمكن للمشاركين في الحرب ان يحصلوا عليها[٦٩] .

لقد كانت هناك مؤامرات وتحالفات اوربية ضد العرب المسلمين في الاندلس من رجال الكنيسة هدفها اثارة الرأي العام الاوربي للوقوف معهم ضد العرب المسلمين والبربرية المغربية لكنها حينما ارتدت عليهم بمحاكم التفتيش علموا زيف نواياهم وما يخططون من اجله وما هذه التحالفات الا غايات لتوصلهم الى اهدافهم العنصرية المتشددة وبدأ بعض منهم برفضها ونبذها بعد ان كشفوا نواياهم المتعصبة فبريطانيا كانت السباقة في عدم السماح لهذه المحاكم في اراضيها وحين شعرت بان الكاثوليكية تعد نفسها ((مؤسسة الله لا مؤسسة المجتمعات المسيحية الاوربية انفصلت عنها مع هنري وتبعها الالمان مع لوثر وكذلك شمال اوربا كلها ثم تم الاستغناء عن خدماتها نهائياً))[٧٠] .

((ان لاهوت التحرير ينقل مفهوم الكنيسة من كونها تعمل لأجل الناس الى كونها كنيسة الناس فتصبح الكنيسة من تحت وليس من فوق وبذلك يكون لاهوت التحرير هو احياء الجانب الثوري في المسيحية الذي دفن اكثر من الف وتسعمائة سنة لحساب الرهبانية ، انه اعاد تثوير الكنيسة للوقوف في وجه الطغيان كما قال المسيح (ع) لاتظنوا اني جئت لألقي سلاما على الارض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً)) [٧١] .

((بعد عملية الاسترداد انتقل فيها المسجد من وظيفته هذه ليصبح كنيسة في معظم المناطق التي استردت اعتبارا من عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) اي منذ استيلاء الفونسو السادس على طليطلة[٧٢] اذ تم تحويل مسجدها الى كنيسة بعد استردادها بشهر[٧٣] ، وفي حديثه عن حصن سنتا فيلا يشير الادريسي[٧٤] الى انه بالقرب من لورقة

(ملقية) ، حيث امكن العثور على كنيسة تحولت الى مصلى (كنيسة صغيرة) اطلق عليها اسم عذراء ستيفيلا Setefilla حامية لورقة))[٧٥] .

((ومن المرجح ان اطلال الزهراء بقيت بعد سقوط قرطبة في ايدي الاسبان حصرا يصعب تحديده ، غير ان قرطبة فقدت في ظل سادتها الجدد صبغتها ومعالمها الاسلامية بسرعة ولم يبق اليوم من آثارها وصروحها الاسلامية سوى مسجدها الجامع الذي ما يزال بالرغم من تحويله الى كنيسة جامعة يحتفظ الى اليوم بكثير من روضه الاسلامية السابقة))[٧٦] . وعلى الرغم من تحويل المساجد الى كنائس في جميع الاندلس بعد انسحاب العرب المسلمين منها الا ان الآثار الاسلامية باقية في كثير من الكنائس لاسيما تلك التي كانت في المدن الكبيرة والمشهورة كالمسجد الجامع في قرطبة ونلمس ذلك في النقوش الاسلامية وفي الاعمدة التي في الجامع .

٨- علاقة الكنيسة مع الكنائس الاخرى:

كانت تربط الكنائس في بلاد الاندلس علاقات وتواصل فيما بينها وبين الكنائس الاخرى في سائر البلدان الغربية من خلال الرسائل والسفارات ، فمثلا في سنة (٣٥٠ه/ ٩٦١م) قدمت من روما سفارة وصلت الى قرطبة تعتبر فريدة في موضوعها ، تطلب من الخليفة عبد الرحمن الناصر الأذن في استرداد جثمان احد النصارى كان مدفونا في كنيسة بالقرب من مدينة لورقة [٧٧]. وقد اشرنا الى ذلك في معرض حديثنا عن كنيسة لورقة ، هذا يعني مدى اهتمام وقدسية النصارى لرموزهم وأنهم على تواصل مع الكنائس الاخرى ، وان كنا لا نعلم من هو صاحب هذا الجثمان هل هو رجل دين ام شخص عادي ، ولكن يبدو انه من الشخصيات المهمة عندهم بحيث يرسل البابا وفدا لجلب رفاته من كنيسة بعيدة عنهم .

ان طبيعة العلاقات بين الدول تتحكم في نوع التواصل والسفارات فيما بينهم فإذا كانت العلاقات طيبة تنعكس ايجابا على نوع الرسائل والسفارات والعكس اذا كانت سيئة ، ففي فترة حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ه/٩١٢-٩٦١م) نشأت دبلوماسية بين اوتو الكبير ملك الفرنجة وبين امبراطور الامبراطورية الرومانية وعلى اثرها ارسل اوتو الكبير سنة (٣٣٩ه/٩٥٠م)[٧٨] رسالة الى الخليفة الناصر كانت عدائية وفيه تهديد ونيل من الاسلام فرد عليه الناصر بمثلها ، ثم عاد اوتو الكبير بعد مدة عندما صلحت الامور بينهما وأرسل رسالة ثانية الى الخليفة الناصر تختلف عن الاولى وليس فيها تهديد او نيل من الاسلام ، فأحسن الناصر استقبال حامل الرسالة في قرطبة وهو راهب يدعى جان دي جورز وانزله الناصر بقرطبة في قصر بجوار احدى الكنائس حتى يستطيع تأدية شعائره الدينية وهذا يدل على احترام الناصر للآخر واحترام دينه ، عاد الراهب الى ملكه ومعه رسول الناصر وكان من المستعربين يجيد اللغة العربية واللاتينية واستقبله اوتو احسن استقبال وتخلى عن الرسالة التي فيها نيل من الاسلام واعاد رسول الناصر برسالة لا تتعرض للدين الاسلامي [٧٩]. كما لاحظنا وجود مراسلات بين حكام المسلمين وحكام النصارى الأسبان .

وذكر القزويني عن ابراهيم احمد الطرطوشي قال سمعت ملك الروم يقول : ((اني اريد ان ارسل الى امير المؤمنين بالأندلس هدية فان من اعظم حوائجي عنده انه صح عندي ان في الفاتحة الكريمة كنيسة وفي الدار

منها زيتونة اذا كانت ليلة الميلاد تورقت وعقدت وأطعمت من نهارها اعلم ان لشهيدها محلا عظيما عند الله فأتضرع الى معاليه في تسلية اهل تلك الكنيسة ومداراتهم حتى يسمحوا بعظام ذلك الشهيد))[٨٠].

لم يقتصر التواصل بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية على التواصل الديني بين الكنائس فقط ، بل كان هناك تواصل علمي ايضا ففي سنة (٥٢٥ه/١١٣٠م) انشأت في طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الاسقف (ريموند) كان مهام هذه المدرسة ترجمة امهات الكتب العربية الاسلامية الى اللاتينية ، وتضافرت الجهود لتسهيل وتوفير كافة مستلزمات الترجمة وابتكار طرق جديدة للترجمة وقد تم ترجمة عدد كبير من الكتب طوال القرون السادس والسابع والثامن للهجرة / الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادي حتى بلغ ما ترجموه من العربية يومئذ (٣٠٠) كتاب او (٤٠٠) اغلبها للرازي وابي القاسم الزهراوي وابن رشد وابن سينا وظلت هذه الكتب المنقولة منهاجا للتعليم في جامعات اوربا خمسة قرون [٨١] .

كان النصارى يعلمون ابناءهم منذ الصغر على خدمة الكنائس والاهتمام بها من اجل زيادة ودعم سلطة الكنيسة لذلك كانوا يرسلون أبناءهم الى الكنائس في كل مكان ليتولوا مهام ادارة الكنائس ويتم اخصائهم لأنقطاعهم عن الدنيا وشهواتها ويشير المقدسي الى ذلك بقوله: ((... فتحصل لي ان الروم يرسلون ابناءهم ويحرزونهم على الكنائس لئلا ينشغلوا بالنساء وتؤذيهم الشهوة))[٨٢] ، وكان المسلمون اذا حرروا اغاروا على كنائسهم واخرجوا الصبيان منها.

كان للكنيسة سلطة وصلاحيات واسعة تتجاوز كل السلطات والصلاحيات في البلاد حتى سلطة لملك فهذا ملك جليقية يتمتع بسلطة مطلقة في املاكه وفي المناطق المستردة ، الا اراضي الخاصة والعائدة الى الكنيسة فليس له عليها سلطان فقد كانت هناك قيود هامة وصارمة على سلطانه بسبب اضطراره للاعتماد على النبلاء والكنيسة في حكم البلاد والمناطق البعيدة او تبوء المناصب الادارية وحتى القضائية [٨٣] .

بعد ازدياد نفوذ الملك وضعف سلطة الكنيسة واسترداد المدن من العرب المسلمين ساعد الملك بإنشاء الكنائس والأسقفيات في كل المدن التي استردت وحتى ماوراء نهر دويرة ، ولكن تعيين اساقفة الكنائس كان من صلاحية الملك وليست الكنيسة فهذا يعني ان الكنيسة اصبحت خاضعة للسلطة الملكية وجردت الكنيسة من صلاحياتها الواسعة التي كانت تتمتع فيه اذ كان تعيين الملك لايتم الا بعد موافقة الكنيسة من خلال اصدار المرسوم الكنسي ومباركة الكنيسة له ، كما اصبح من صلاحية الملك عدم خضوعه للمحكمة العليا التي كانت ذو صلاحيات واسعة بحيث تستدعي الملك الى المثول امام هذه المحكمة لمحاسبته في حال مخالفته لأوامر الكنيسة او التقصير في عمله وكانت هذه المحكمة تتألف من رجال الكنيسة وكبار رجال البلاط غي ان ملك اسبانيا كان مستثنى من هذه الاحكام اذ كان بإمكانه ان يمثل امام هذه المحكمة ويصدر الاوامر واتخاذ القرارات الخاصة بأمن البلاد وإعلان الحروب ومحاسبة رجال الكنيسة[٨٤].

كان النصارى الذين عاشوا في كنف الاسلام بعد عملية فتح الاندلس وبالتحديد في عصري الامارة والخلافة يعيشون بسلام تحت ظل دولة قوية يحكمها العدل والمساواة ، لهذا لم يتعرضوا فيها الى اي اضطهاد او عمليات قتل وكذلك الكنائس لم تتعرض الى الهدم والخراب على عكس التي بقيت تحت حكم النصارى الاسبان لاسيما

في عهد سلطة الملك المطلقة وخاصة في الاجزاء الشمالية للأندلس فالحروب المستمرة سواءً الداخلية منها والتي نشبت فيما بينهم ام تلك التي حدثت مع العرب المسلمين حيث حصدت هذه الحروب ارواح اعداد كبيرة منهم فضلا عن خراب المباني والقصور وبالأخص الكنائس والأديرة ، ولم تتمكن حكوماتهم من اعادة ترميم وبناء الكنائس الا في منتصف القرن الثاني والثالث الهجري/ الثامن والتاسع الميلادي عندما استقرت الامور السياسية في تلك الفترة وبدأت مرحلة البناء ولكن وعلى الرغم من بناء عدد كبير من الكنائس الا انها لم تتمكن من ارجاع نفوذها وهيبتها السابقة التي سبقت فترة ازدياد نفوذ وسلطة الملوك الذين حاربوا رجال الكنيسة وحدوا من صلاحياتهم وانقطعت نتيجة ذلك عن التواصل مع الكنائس الاخرى في سائر البلدان الاخرى لاسيما مع كنيسة روما وظلت منطوية على نفسها ((لولا اكتشاف جسد الحواري القديس يعقوب(شنت ياقوب) حواري اسبانيا المزعوم حوالي سنة (٢١٥ه/٨٣٠ م) في ابريا (كوميرستيل) ولاقت الخزانة نجاحاً سريعا في الغرب وعاود الحج وخاصة الحج الفرنسي الى كوميوستيل سيرته الاولى عندما اعيد بناء المدينة بعد كارثة (٣٨٧ه/٩٩٧م) وكانت لهذا الحج نتائج دينية وسياسية وادبية فقد اسهم في ربط اسبانيا الشمالية في العالم المسيحي)) [٨٥] .

وكان علي بن مجاهد العامري امير دانية(٤٣٦-٤٦٨ه/١٠٤٤-١٠٧٦م) يتبع سياسة المودة والتسامح المطلق نحو النصارى ونحو امانيهم الدينية ، وهناك وثيقتان صادرتان منه ، الاولى تختص بوضع سائر الكنائس والبيع التي بمملكة دانية والجزر الشرقية تحت رعاية اسقف برشلونة ، وان يتولى هو تعيين سائر رجال الدين الذين يعملون بهذه الكنائس [٨٦] .

وفي المقابل نرى ان موقف بعض رجال الكنيسة تجاه المسلمين كان سلبيا ، ونلمس ذلك من خلال الخطوات التي اتخذها هؤلاء في اوربا لمواجهة مشاعر الاندهاش والخوف من الاعجاب بالإسلام فبدأت تعمل على تشويه صورة الاسلام ، بالمقابل قاموا بكل الوسائل من اجل ترسيخ الايمان المسيحي وهذا ماأشار اليه مكسيم رودنسون حيث يقول : ((ان هذه المشاعر نحو الاسلام قد ادت الى ناحيتين هامتين : اولاها السعي نحو وحدة ايدولوجية اوربية متكاملة في مواجهة فكر الاسلام وحضارته ، واخراها ان الكنيسة الاوربية قد عملت من اجل تثبيت الايمان المسيحي على تشويه المنتجات الحضارية للأسلام وما يصل منها الى مسامع الغربيين ، وقد نشط اللاهوتيون النصارى في ذلك الوقت المبكر ضد الاسلام وراموا ينشرون الافتراءات والاكاذيب حول الاسلام)) [٨٧] .

كانت الكنيسة تقوم بوظيفة التنصير ونشره في جميع بلدان العالم الاسلامي بوسائل عديدة منها الاستشراق الذي شاع في المشرق الاسلامي في الفترات الاخيرة وبما ان الاستشراق احد وسائل التنصير فاختلفت هذه الوسائل باختلاف المستشرقين ومذاهبهم اذ ان هؤلاء المشتشرقين ينتمون الى مذاهب ومدارس مختلفة لذا فقد تنوعت واختلفت بعثات التنصير من بلد الى آخر وبحسب المستشرق او صاحب البعثة والى الكنيسة التي ينتمي اليها اي ان كل كنيسة اصبحت مستقلة في عملها التنصيري عن الكنيسة الاخرى الامر الذي ادى الى اختلاف

العمليات التنصيرية وهذا بدوره ادى الى صعوبة مواجهة هذه العمليات التنصيرية من قبل العرب المسلمين لاختلاف البعثات التنصيرية [٨٨] .

الخاتمة

١- ساهم المسلمون وبشكل فعال زرع المفاهيم الحضارية في نفوس اهل الاندلس من خلال بناء دولة حضارية قائمة على اسس علمية رصينة والتي كسبت اعداد كبيرة من النصارى الدخول في الاسلام او الاندماج في المجتمع الاسلامي بشل ايجابي وساهموا في بناء مجتمع متحضر.

٢- رغم كل التسامح الذي عرف بها المسلمون في الاندلس وبشهادة المستشرقين الا ان مجاميع بقيت لم تستطيع الانصهار او القبول بالتغير الحاصل في البلاد واستغلوا كل فرصة للانضمام الى المتمردين ضد السلطة المركزية .

٣- ان المبادئ السامية التي تحملها الشريعة الاسلامية في بناء المجتمع وساهمت في زرع التسامح الديني والتعايش السلمي بين مكونات المجتمع جعلت الاندلس ملجأ للكثير من العلماء والادباء في نشر علومهم ومدارس لطالب العلم للتوجه الى الاندلس لتطوير قدراتهم العلمية على ايدي امهر الشيوخ العصر آنذاك .

٤- رغم التحيات التي مرت بها الاندلس في بعض عصور الازمات السياسية والتحديات الخطيرة والتي استغلت من قبل بعض الاقلام المريضة بعض النصوص التي تتحدث عن تعرض الكنائس الى تهديم او عمليات عسكرية بعد لجوء المتمردين التحصن فيها ولم تكن محايدة لتحقيق تاريخي صحيح بل تم اظهارها بعمليات منظمة لغرض تهديم الكنائس رغم كل التسهيلات التي قدمت لهم طيلة سنوات عصري الامارة والخلافة .

٥- من الواجب على كل متخصص في تاريخ الحضارة الاسلامية التركيز على هذه الاقلام المسمومة التي تحاول تشويه صورة الاسلام للرد على تلك الاتهامات الباطلة في تضليل المؤرخين والاستناد الى الاقلام المحايدة لاسيما المستشرقين الذين انصفوا الحضارة الاسلامية في كل مكان .

الهوامش

*- أ م د خزعل ياسين مصطفى / رئيس قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الحمدانية /وكيل مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية .

**- د علي قنبر الياس/ تدريسي / قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الحمدانية

([١]) ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي كان حيا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة (بيروت ، ١٩٨٣م) : ١١/٢؛ الحميري ،محمد عبد المنعم ت ٩٠٠هـ ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، دار القلم (بيروت ، ١٩٧٥م) ص ٤٦٢ .

([٢]) الضبي ، احمد بن يحى بن احمد بن عميرة ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني (القاهرة ، بيروت ، ١٩٨٩م) ص ٢٥٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار، ص ١٣١-١٣٢ ؛ السامرائي ،خليل ابراهيم وعبد الواحد ذنون طه و ناطق صالح مطلوب ، تاريخ المغرب وحضارتهم في الاندلس ، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت ، ٢٠٠٠) ص ٦٥ .

([٣]) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ٢٢٩ ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس العصر الاول ، مكتبة الخانجي (القاهرة ، ١٩٩٧م) :١/ ٢٠-٢١ .

([٤]) عنان ، دولة الاسلام : ١/ ٢٧٨ .

(٥) ابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد الصيرافي ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م ، فتح القدير ، فصل لايجوز احداث بيعة (د.م ، د. د.ت) : ٨/ ١٩٨ .

(٦) ابن الهمام ، فتح القدير : ٥٨/٦ .

(٧) ابن الهمام ، فتح القدير : ٥٨/٦ .

(٨) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار وهو معجم جغرافي ، عني بنشرها وتصحيحها وعلق حواشيها ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٩٢٧م) ص ١٤٣ .

(٩) مجلة الراصد متخصصة في الغرض ، ص ٦٤ .

(١٠)الاجيلي ، وهبة ، الفقه الاسلامي وادلته الشامل للادلة الشرعية والآراء المذهبية واهم النظريات الفقهية وتحقيق الاحاديث النبوية وتخريجها ،ط٤ ، دار الفكر (دمشق ، د.ت) ١١/٨ ؛ برنارد لويس ، لغة السياسة في الاسلام ، ترجمة ابراهيم شفا،ط٣، دار قرطبة للنشر والتوثيق والابحاث(قرطبة ، ١٩٩٣) ص ١٢١ .

(١١) ابن الاثير،عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم ت ٦٣٠هـ / ١٢٣١م ، الكامل في التاريخ ، دار صادر (بيروت ، ١٩٦٩م) : ٢٧٦/٥ و٢٧٩/٥ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب : ٥٨/٢ .

(١٢) باسيليو بابون مالدونادو ، عمارة المساجد في الاندلس ، ترجمة علي ابراهيم منوفي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (ابو ظبي ، ٢٠١١) ص ٢١ .

(١٣) باسيليو مالدونادو ، عمارة المساجد ، ص ٢١ .

(١٤) باسيلو ، عمارة المساجد ، ص ٢٠ .

(١٥) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص ٤٥ .

(١٦) السبكي ، ابو الحسن تقي الدين علي بن الكافي ت ٧٥٦ه، فتاوي السبكي ، دار المعارف (د.م ، د.ت) :٢/ ٣٦٩ ؛ وقال الطرطوشي : وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر ان لايترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة وهكذا قال من السنة ان تهدم الكنائس التي في الامصار القديمة والحديثة . ينظر السبكي ، فتاوي السبكي : ٣٨٩/٢ ، ١٧٩/١٤.

(١٧) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص ٢٣ ؛ عنان ، دولة الاسلام : ٣٨٧/١ .

(١٨) مؤلف مجهول ، اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ط٢، مطبعة دبندنير المسيحية (مدريد ، ١٨٦٧) ص ٢٣ .

(١٩) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص ٢٣ .

(٢٠) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص٤٨ .

(٢١) كونستيل ، اوليفيا ريمي ، التجارة والتجار في الاندلس ، تعريب فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان (الرياض ، ٢٠٠٦م)ص ١٥٨ ، ١٨٣؛ مسعد ، سامية مصطفى محمد الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين ، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد ،٢٠٠٣م) ص ١٥٣ . .

(٢٢) سالم عبد الله الخلف ، نظم حكم الامويين ورسومهم في الاندلس ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة (السعودية ، ٢٠٠٣) : ١/ ٣٧١

(٢٣) سورة البقرة ، اية ٢٥٦ .

(٢٤) سعيدعبد الفتاح عاشور ، تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية (بيروت ، ١٩٧٦) ص ١٠٥ .

(٢٥) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص ١٦

(٢٦)ايرفنغ ،واشنطن ، اخبار سقوط غرناطة ، ترجمة هاني يحيى نصري ، مؤسسةالانتشار العربي (لندن ، بيروت ، ٢٠٠٠م) ص ٣٦ .

(٢٧) عنان ، دولة الاسلام : ٢٧٢/١ .

(٢٨) الحميدي ، محمد بن ابي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٦٦م) ص ١٥٧-١٥٨.

(٢٩) مجهول ، اخبار مجموعة ، ص ٦٢ ، اشباخ ، يوسف ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة وعلق عليه محمد عبد الله عنان ، ط٢، مكتبة الخانجي (القاهرة ، ١٩٩٦م) ص ١٢٨ .

(٣٠) عنان ، دولة الاسلام : ٢/ ٦٠٥ .

(٣١) همام سعيد ومحمود حمودة وصلاح الخالدي ، الوجيز في الثقافة الاسلامية ، ص ٢٠٤ .

(٣٢) الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، ط٢، دار صادر (بيروت ، ١٩٩٥م) : ٣/ ٣٦٧ .

(٣٣) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٠٢ .

(٣٤) البكري،ابو عبيد عبد العزيز بن عبد الله ن محمد ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٧م ، المسالك والممالك ، دار الغرب الاسلامي (بيروت ، ١٩٩٢م) : ٨٩١/٢

([٣٥]) ابن الخطيب ، لسان الدين بن محمد بن عبد الله ، تاريخ اسبانيا الاسلامية او كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، ط٢، دارالمكشوف(بيروت ، ١٩٤٨) ص ٦٧

([٣٦]) العامري ، محمد بشير ، دراسات حضارية في التاريخ الاندلسي ، دارغيداء (عمان ، ٢٠١٢م) ص ٥٤

([٣٧]) الحميري ، صفة الجزيرة ، ص : ١١٥، عنان ، دولة الاسلام : ٣٤٣/١ .

([٣٨]) عنان ، دولة الاسلام : ٥٥٩/١ .

([٣٩]) البكري ، المسالك والممالك : ٢/ ٨٩١ ؛ الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٨٨م) : ٢/ ٧٢٨ ؛ الفقي ، عصام عد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، ١٩٨٤م) ص ٢١٩ .

([٤٠]) الروض المعطار ، ص ٣٤٨ .

([٤١]) الادريسي ، نزهة المشتاق : ٢/ ٧٢٨ .

([٤٢]) ابن الأثير الكامل في التاريخ : ٥/ ٢٧٦؛ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، تقديم ، محيي الدّين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود واخرون ، دار الجيل (بيروت ، ١٩٨٨م) : ١٣/ ٣٠٣ .

([٤٣]) الشريف الادريسي ، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مطبعة بريل (ليدن ، ١٩٦٨) ص ١٨٠ ؛ الحميري ، صفة الجزيرة ، ص ٢ .

([٤٤]) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ، اثار البلاد واخبارالعباد ، دار صادر(بيروت ، د.ت) ص ٥٥٦ ؛ الحميري ، صفة الجزيرة ، ١٧١

([٤٥]) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٠٢ .

([٤٦]) مسالك الممالك : ٢/ ٩٠٨ .

([٤٧]) صفة جزيرة الاندلس ، ص ٥٦ ، ١٣٤ .

([٤٨]) هو ريكارد ملك القوط (٥٨٦- ٦٠١ م) وهو الذي جمع الفرق وقدم ثمانين أسقفاً على ثمانين مدينة، وكان مستقره طليطلة وهو الذي بنى الكنائس الجليلة في نواحي الأندلس، وهو الذي قال بالتثليث ، ينظر الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٥٦ .

([٤٩]) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص٢٦ .

([٥٠]) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص ٢٦ .

([٥١]) المقري ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص : ٣٤٧ ، باسيليو ، عمارة المساجد ، ص ٢٦ .

([٥٢]) احمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية ، د.ت):٢/ ١٦٨-١٦٩ ؛ Levi Profncal History .t. I. p٣٥٢

([٥٣]) الصلابي ،علي محمد ، دولة الموحدين ، دار البيارق للنشر (عمان ، د.ت) ص٢١٩

([٥٤]) السامرائي واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٤٩ .

([٥٥]) البكر،خالد بن عبد الكريمبن حمود ، النشاط الاقتصادي في الامارة ،مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة (الرياض ، ١٩٩٣م) ص ٨٦-٨٧ .

([٥٦]) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية (بيروت ، ١٩٧٦) ص ١٠٥

([٥٧]) المالقي ، ابو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م ، مطلع الانوار ونزهة البصائر والابصار تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الاسلامي ، دار الامان للنشر والتوزيع (بيروت ، الرباط ، ١٩٩١م) ص ٣٢٥ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة : ٣/ ٢١٠؛ ابن خلدون ، العبر :٤/ ١٧٤ .

([٥٨]) ابن عذاري ، البيان المغرب : ٢/ ١٨٨ .

([٥٩]) آل عمر، محمد بن علي، الطائفة الكاثوليكية ، فرقها ، عقائدها واثرها على العالم الاسلامي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة ام القرى كلية الدعوة واصول الدين قسم العقيدة ، ٢٠٠٧) ، ص ٤٦٠ .

([٦٠]) السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد الناصري ت ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر ومحمد الناصري ، دا الكتاب (الدار البيضاء ، ١٩٥٤م) : ١٨٥/٣ .

([٦١]) عنان ، دولة الاسلام : ٢٨٩/٢ .

([٦٢]) رينهارت دوزي ، المسلمون في الاندلس ، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٩٤) : ١/ ٨٧ .

([٦٣]) الفقي ، تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٠٠-١٠١ .

([٦٤]) proven cal ,level : Mus Histoire Dell spagne :Musulmane,Paris,١٩٥٠ p.٢٢٥

([٦٥])آل عمر ، الطائفة الكاثوليكية ، ص ١١٩ .

([٦٦]) تاسست هذه الفرقة في فرنسا عام ٩١٠م على يد وليم دوق اكينيا على هيئة دير اسلامي محدود ولكن ما لبثت ان تطورت واتسع افقها حتى اخذت تستهدف في القرن الحادي عشر اصلاح الكنيسة اصلاحا شاملا ، ينظر عادل زيتون ، تاريخ العصور الوسطى ص ٤٤٩ .

([٦٧]) عنان ، دولة الاسلام : ٢/ ٣٩٠ .

([٦٨]) عنان ، دولة الاسلام : ٣/ ٩٥ .

([٦٩]) ال عمر ، الطائفة الكاثوليكية ، ص ٣٥٧ .

([٧٠]) ابرفنغ ،اخبارسقوط غرناطة ، ص ٣٦ .

([٧١]) احمد ادريس الطعان ، مآثر الاسلام في القراءات العلمانية (دمشق ، د.ت) ، ص ٥٨ .

([٧٢]) باسيليو ، عمارة المساجد ، ص ٤٤ .

([٧٣]) بروفنسال ، ليفي ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة محمود عبد العزيزسالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، راجعه لطفي عبد البديع ، دار نهضة مصر للطبع والنشر (القاهرة ، ١٩٥٦م) ص ١٤٨ .

([٧٤]).نزهة المشتاق : ٢/ ٥٦١ .

([٧٥]) باسليو ، عمارة المساجد ، ص ٣٧ .

([٧٦]) عنان ، دولة الاسلام : ١/ ١٤٩ .

([٧٧]) الخلف ، نظم حكم الامويين : ١/ ٢٥٤ .

([٧٨]) الفقي ، تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٣-٢٠٤.

([٧٩]) الفقي ، تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

([٨٠]) القزويني ، اثار البلاد ، ص ٥٥٦ .

([٨١]) جابر قميحة ، آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلمة ، مجلة دعوة الحق ، السنة العاشرة ، العدد ١١٦ ، ١٩٩١ ، ص ١٥ .

([٨٢]) احسن التقاسيم ، ص ٢١٠ .

([٨٣]) نقلا عن سائدة عبد الفتاح انيس سويلم ، علاقة الامارة الاموية في الاندلس مع الممالك النصرانية من اسبانيا ١٣٨-٣٠٠ه، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، نابلس ، ٢٠٠١م ، ص ٦٩ . Chapman, Ahistory of Spain ,p٦٠-٦١؛

([٨٤]) نور الدين حاطوم ، تاريخ العصر الوسيط في اوربة ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٨٣م) : ١/ ٤٣٤ .

([٨٥]) حاطوم ، تاريخ العصر الوسيط : ١/ ٤٣٧ .

([٨٦]) عنان ، دولة الاسلام : ٢/ ٢٠٣ .

([٨٧]) محمد عبد الله الشرقاوي ، الاستشراق في الفكر الاسلامي المعاصر ، دراسة تحليلية ، ص ٣٩ .

([٨٨]) محمد خليفة حسن احمد ، اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الاسلامية (القاهرة ، ١٩٩٣) ص ٣٥ .